ويبحث البومة العمياء فى عالمه عن الجمال والطهر والأفكار النبيلة ، لكن حجر عثرة وحائطا صلدا ثقيلا ، حاجزا صلدا لامتنفس فيه وثقيلا كالرصاص يعترض سبيله دائما ، انه يقضى أيامه متجولا باحثا عن واد ، عن قطعة من السماء الزرقاء ، عن بعض السلوى لكنه فى كل مرة يجابه بالحقائق الصلبة التى لايمكن النفاذ منها حوله : « كنت قد أعتدت غسق كل يوم أن أخرج للنزهة ، لا أدرى لماذا كنت أريد ، ولماذا كنت أصر على أن أكتشف شجرة السرو وأيكة النيلوفر ولو أننى اكتشفت ذلك المكان ، ولو اننى استطعت أن أجلس فى ظل شجرة السرو تلك لولد ذلك بالتأكيد حس الراحة فى حياتى ، لكن وآسفاه ، لم يكن هناك شىء ٠ الا التراب والرمل الحار وعظام من ضلوع خيل ، وكلب كان يتشمم فى القمامـــة » والحقيقة التى كانت تبعث على القلق عند البومة العمياء ، أنه كان واعيا لشقاءاته قلقا من أجلها الى درجة كبيرة يقول « اننى أرقد فى كفن أسود طيلة حياتى » ويكتشف أنه لايستطيع أن يقوم بشىء ايجابى حيال حياته ، فيجد حاته الحقيقية فى المناظر والرؤى التى يثيرها الأفيون فى عالمه الخيالى ، فهو رجل كمن وصفه اندريـه موروا « حرمه عالم الحقيقة من السعادة ، فأخذ يجرب خلق عالم شاعرى وخيالى »(٥) لكن حتى عالم البومة العمياء الخيالى كئيب وجنائزى ، تظهر له ملاك أحلامه باديء ذى بدء خلال فجوة فى حجرته « تشبه سرابا فى ضباب أفيونى « انها لاتشـــبه الناس العاديين فهى مخلوقة أثيرية ذات عينين ساحرتين وجسد سماوى تشبه كثيرا الفتاة التى يرسمها على صناديق الأقلام ، وتنحنى على نبع تقدم زهرة لوتس الى شيخ كان يجلس القرفصاء تحت شجرة سرو وهو يمص ابهامه وأثناء رؤيته لهذا المنظر يسقط البومـــة

---

(٥) Introduction to Letters of Byron (London 1933) P. V.